بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّلاةُ والسَّلامُ علَى نبيِّنَا محمَّدٍ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.
بِدايةً لا بُدَّ أن أتوجَّهَ بالتحيَّةِ إلَى فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ شيخِ الأزهرِ، الأستاذِ الدُّكتورِ/ أحمد الطَّيِّبِ، وأُوجِّهُ التَّحيَّةَ إلَى السَّادةِ الحاضِرينَ جميعًا الَّذينَ يرنُو إليهِم أهلُ القُدسِ بِصُمودِهِم ونِضالَاتِهِم وثَبَاتِهِم علَى أرضِهِم، وزَودًا عن حُرُمَاتِهِم، وفِي شَخصِ هؤلاءِ المَقدِسِيِّينَ أتوجَّهُ بتحيَّةٍ خاصَّةٍ إلَى أهلِنَا القَادِمِينَ من القُدسِ، وإلَيكُم جميعًا كمَا قلتُ؛ لأنَّ المَقدِسِيِّينَ يَرنُونَ الآنَ إليكُم، ويُعَوِّلُونَ علَى جُهُودِكُم.
أنَا فِعلًا أتحدَّثُ بصِفَتِي أمينُ عام لمُنظَّمةِ مؤتمَرِ نُصرَةِ القُدسِ، وهي هيئَةٌ دوليَّةٌ مُستقِلَّةٌ، لكنَّ مقرَّهَا هوَ مَقَرُّ الأمينِ العامِّ، إلَى أن يتحقَّقَ لهَا أن يكونَ المقرُّ فِي القدسِ.
بدايةً القضيَّةُ الأساسيَّةُ التِّي أُريدُ أن أتحدَّثَ عنهَا هُوَ كيفَ نُحوِّلُ الوعيَ إلَى مَقدِرَةٍ علَى الفِعلِ؟ واسمحُوا لِي هُنَا أن أتحدَّثَ بشكلٍ خاصٍّ كَفِلسطِينِيٍّ، بمَعنًى مُحدَّدٍ؛ لأنِّي فِي النِّهايةِ أستمِدُّ فلسطِينيَّتِي من عُرُوبتِي، بِمعنَى مُحدَّدٍ لأنَّ الفِلسطينِيَّ فِي حقيقَةِ الأمرِ - خاصَّةً المُقتَلَعَ من أرضِهِ - إنَّمَا يَشعُرُ بوجودِهِ من خلالِ كَينُونَتِهِ النِّضالِيَّةِ، فيكَادُ الفلسطينيُّ أن لَا يشعُر أنَّهُ موجودٌ إن لم يكن يعيشُ النِّضالَ.
وأنَا أتحدَّثُ الآنَ عن المجتمعِ المَدنيِّ العالَميِّ أَستحضِرُ أيضًا كلماتٍ تربَّيتُ عليهَا، وعُرِفَ بهَا والدِي حينَ كانَ يقولُ: إنَّ استخدامَ البُندقيةِ فِي مَوضِعِ الكلمةِ ليسَ اعتداءً وإنَّما خطأٌ، وإنَّ استخدامَ الكلمةِ فِي موضِعِ البندقيَّةِ ليسَ تَطرُّفًا وإنَّمَا خطأ، وأنَا أتصوَّرُ الآنَ أنَّ الزَّمنَ الآنَ هوَ زمنُ كيفَ تكونُ الكلمةُ مدخَلًا لِتُشَرَّعَ البندقيَّةُ وَلِتُطلِقَ الرَّصَاصةُ.
فِي تصوُّري هذَا هوَ جوهَرُ المَعنَى الَّذِي أشارَ إليهِ شيخُنَا الشَّيخُ أحمدُ الطَّيِّبُ، عندَمَا تحدَّثَ عن ضرورةِ استعادَةِ الوعيِ، إنَّ استعادةَ الوعيِ هيَ المُنطَلَقُ لِمَا نُريدُ.
أَبنِي أيضًا علَى مُلاحظةٍ ذكرَهَا الدُّكتورُ/ مُصطفَى الفِقِي، قَبلَ قليلٍ، وأَبنِي عليهَا أشياءَ بغَضِّ النَّظَرِ إذَا كُنَّا سنتَّفِقُ علَى مَا أَبنِي عليهِ، لكن أشارَ معالِيهِ إلَى قضيَّةٍ أساسيَّةٍ هيَ أَهميَّةُ المجتمعِ العالَمِيِّ، وأَنَّهُ منهُ تُستَمَدُّ الكثيرُ من المَواقفِ، وهذَا مَا أتَّفِقَ عليهِ وأَبنِي علَى هذَا، وهذَا يَعنِي بمعنًى من المَعانِي

أنَّ المُجتمعَ العالَمِيَّ يُشكِّلُ مدخَلًا للتَّعبيرِ عن ضمِيرِ العالَمِ، عن ضميرِ الإنسانِيَّةِ، خاصَّةً أنَّهُ من الصَّعبِ تَطويعُ المُجتمعِ العالَميِّ، ومِن هنَا أَجِدُ أنَّنِي أستطيعُ أن أُلَخِّصَ مَا أُريدُ أن أقولَه من خِلالِ الحَديثِ أو الإشارةِ إلَى مَا يَرتبِطُ بدوائرَ ثلاثةٍ فِي هذَا المجتمعِ المَدَنِيِّ العالَميِّ الَّذِي هوَ مَوضوعُ المُداخَلَةِ، أو موضوعُ هذِهِ الحلقةِ، الدَّائرَةِ العالميَّةِ الكُبرَى، والدَّائرةِ العربيَّة، ثُمَّ الدَّائرة الفلسطينيَّةِ.

الدَّائرةُ العالميَّةُ من الوَاضِحِ أنَّها لَا تَقبَلُ التَّرويعَ الَّذِي تُسَمِّيهِ إرهابًا، ولَا تَقبَلُ الاعتِدَاءَ بالعُنفِ علَى المَدَنِيِّينَ وعلَى الآمِنِينَ فِي بُيُوتِهِم، لكن أيضًا الرَّأيُ العالَمِيُّ لَا يَحترِمُ مَن يُقاتِلُ دِفَاعًا عن حقِّهِ، وَلَا يَنظُرُ إِلَيهِ، وَالرَّأيُ العَامُّ العَالمِيُّ إِنَّمَا يَحتَرِمُ مَن يُدافِعُ ويُقاتِلُ وَيُعَبِّرُ من أجلِ تحقيقِ أهدَافِهِ، ومِن هُنَا أفهمُ لمَاذَا فِي نِهايَةِ المَطَافِ لم ينجح مَسارُ أُوسلُو، ومن هنَا أُقدِّرُ تقديرًا خاصًّا مَا أعلنَهُ فخامةُ الرَّئيسِ الفلسطينيِّ البَارحةَ من إشارةٍ إلَى أنَّ مسارَ أوسلُو اِنتهَى.

أيضًا أريدُ أن أقولَ: إنَّ المجتمعَ العالَميَّ فِي نهايةِ المطافِ لَا يُمكِنُ أن يُنكِرَ أو يَنظُرَ بِاستخفافٍ إلَى أنَّ فلسطينَ هيَ لأهلِهَا، ولَا يُمكنُ أن يَقبَلَ عدمَ تَمكِينِ الفلسطينيِّينَ وعَربِ فلسطينَ من حقِّهَم فِي العَودةِ، ومن مُمارستِهِم حقوقَ المُواطنِينَ كاملةً، سواء تعلَّقَ الأمرُ بالحقوقِ المَدنيَّةِ أو السِّياسيَّةِ أو الدِّينيَّةِ أو الحَضاريَّةِ، لكن سَأَنتَقِلُ سريعًا إلَى الدَّائرةِ العربيَّةِ.

هناكَ قد يبدُو بعضُ مَا أقولُهُ، أو حتَّى مَا أقولُهُ يكونُ مفهومًا، أريدُ أن أُشيرَ إلَى أمرينِ.

الأمرُ الأوَّلُ: أنِّي أنظرُ باحترامٍ، كمَا نبَّهَ ونَوَّهَ الدُّكتورُ/ نبيلُ العربيُّ لأهميَّةِ الشَّرعيَّةِ الدَّوليَّةِ، ولكن أيضًا أُنَبِّهُ إلَى أنَّها شرعيَّةٌ مُعطَّلَةٌ، وأنَا أيضًا أنظرُ بكلِّ تقديرٍ إلَى الجُهودِ القائمةِ علَى قدَمٍ وساقٍ علَى امتدادِ الوطنِ العربيِّ، وأنظرُ بكُلِّ تقديرٍ إلَى قامَاتٍ موجودةٍ هنَا؛ منَها عمروُ موسَى، ومنهَا آخرونَ أُشيرَ إلَى نِضَالِهِم، ولكن هُنَاكَ قضيَّةٌ أخرَى أَرَى أنَّنا مُتَّفقونَ عليهَا، وهيَ أنَّ نظامَنَا العربيَّ الآنَ نظامٌ عاجِزٌ، ومِن هُنَا يَتَوَجَّبُ فِي نَظَرِي النَّظَرُ إلَى أنَّ مَا يُمكنُ أن نقومَ بهِ علَى صعِيدِ المجتمَعِ المَدَنِيِّ العربيِّ فِي الدَّائرةِ العربيَّةِ، فهيَ لَا تفهمُ أنَّ فلسطينَ قابِلةٌ للقِسمَةِ، فالرَّأيُ العامُّ العربيُّ مُقتَنِعٌ ومُؤمِنٌ أنَّ مَا يتنَازَلُ عن نصفِ وطنِهِ لَا يَستحِقُّ النِّصفَ الآخرَ، فَالرَّأيُ العامُّ العربيُّ لَا يعرِفُ قُدسينِ بل قدسًا واحدًا.

الرَّأيُ العامُّ العربِيُّ مُهَيَّأٌ للتَّضحيَةِ، لكنَّ المشكلةَ الآنَ - وهذَا فِي تصوُّرِي شيءٌ معروفٌ، يَعنِي معروفٌ فِي الشَّرقِ والغربِ - أنَّ الثَّوَرَاتِ والحركاتِ التَّحَرُّرِيَّةَ تأخذُ وقتًا إلَى أن تُحقِّقَ نتائِجَهَا.
مُتَطَلِّعٌ إلَى تَوظِيفِ إمكانيَّاتِهِ التَّوظيفَ الصَّحيحَ، انفجرَت الانتفاضَةُ الكُبرَى الفِلسطينيَّةُ فِي عامِ ١٩٨٧م، لكن - لِلأسَفَ - أَثمرَت شيئًا عقِيمًا وهوَ أُوسلُو، وهُناكَ أيضًا الرَّبيعُ الواعِدُ، وللأسَفِ الآنَ نعيشُ نحنُ تَداعِيَاتٍ سلبِيَّةً لهذَا الرَّبيعِ، وَلكن هذَا يحدُثُ، حدَثَ لدَى الثَّورةِ الفِيتنَامِيَّةِ، وفِي مِصرَ حدَثَ فِي ثورةُ ١٩١٩م المُلهِمَةُ، ولكن فِي النِّهايةِ أسفَرَ نِضالُ شعبِنَا فِي مِصرَ عن التَّحَرُّرِ والجَلاءِ إلَى آخرِ هذِهِ الأمورِ.
لهذَا أريدُ أن أؤكِّدُ أنَّ الرَّأيَ العامَّ العربيَّ يعرِفُ أنَّ القُدسَ هيَ عاصمةُ فلسطينَ، بِغَضِّ النَّظرِ كانت فلسطينُ دولةً، أو كانت وِلايةً فِي الإقليمِ العربيِّ الكبيرِ.
أَنتقلُ إلَى الدَّائِرَةِ الأخيرةِ؛ وهيَ الدَّائرةُ الفلسطينيَّةُ، الآنَ الفلسطينيُّونَ أكثرُ شيءٍ كانُوا يُريدونَ أن يحقِّقُوهُ منذُ البِدايةِ، لكن لم يُوَفَّقُوا فِي هذَا، أرادُوا أن يضَعُوا القُدسَ علَى رأسِ الأجندَةِ الآنَ، الَّذِي حَصلَ أنَّ الرَّئيسَ الأمريكيَّ علَى رأسِ الأجِندةِ، فَمناقشةُ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ مَدخَلُهُ هوَ القدسُ، أنَا قلتُ: إنَّنِي أريدُ أن أتحدَّثَ كفِلسطينيٍّ، والفلسطينيُّ يَربطُ الوعيَ بالفِعلِ؛ لأنَّ المُعاناةَ، تجعلُهُ يُدركُ مَخاطِرَ عدمِ ربطِ الوعيِ بالفِعلِ.
هذَا السُّؤَالُ يتحوَّلُ سرِيعًا إلَى سؤالٍ أكبرَ منهُ، القدسُ أم فلسطينُ، لأنَّ الرَّأيَ العامَّ العربيَّ - أقولُ - يعرِفُ أو مُقتَنِعٌ أو مُؤمنٌ بأنَّ القدسَ فِي حقيقةِ الأمرِ هيَ فلسطينُ كلُّهَا، وليسَ فقَط فِي مسجِدِهَا الأقصَى وكنيسةِ القيامَةِ وفِي سائِرِ المُقدَّساتِ، إنَّمَا هيَ فِي أَكنَافِهَا ورُبُوعِهَا.
ومِن هُنَا يدركُ الفلسطينِيُّونَ أيضًا - يُدركُونَ - أنَّ المدخلَ لِمَا يُرِيدُونَ هوَ وِحدَتُهُم، وِحدةُ فِلسطينِيِّ الصُّمودِ، وأعنِي بهِم الصَّامِدينَ فِي أرضِهِم منذُ عامِ ١٩٨٤م، وأعنِي بهِم أيضًا فلسطينيِّ الإنتفاضَةِ، الَّذِينَ صَنعُوا الانتفَاضَةَ، وأعنِي بهِم فلسطينِيِّ الثَّورةِ الَّذينَ صنعُوا الثَّورةَ فِي المَنافِذِ.
لِهذَا أَعُودُ وَأنهِي هذَا الكَلامَ، وأَقولُ: إنَّ الرَّأيَ العامَّ عالمِيًّا، وعربيًّا، وفلسطينِيًّا يُدركُ أن لَا تحريرَ إلَّا بالنِّضالِ الَّذِي تَقُودُهُ الكلمةُ الواعيَةُ والفِكرُ الواعِي، وأنَّ اللِّقاءَ لَا يُمكنُ أن يكونَ علَى أرضِ الكَرامةِ وأرضِ التَّحريرِ

إلَّا إذَا كانَ علَى أرضِ المعركَةِ، فَالأرضُ هيَ دائمًا للسَّواعِدِ المُجَاهِدَةِ الثَّائِرَةِ الَّتِي تُحَرِّرُهَا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته